الشيخ أحمد حسين الرسولفوري حياته وشعره العربي

SHEIKK AHMAD HUSSAIN RASULPURI, LIFE AND ARABIC POETRY

د. محمد معتصم الأعظمي*

ABSTRACT:

Azamgarh is a famous district of Uttar Pradesh, India which has been the birthplace of many great personalities of different fields of arts and sciences such as Mīr ʻAlī ʻĀshiqān, ʻAllāmah Shiblī Nu'mānī, Imām Ḥamīduddīn Farāhī, Maulānā Amīn Aḥsan Iṣlāḥī, Ḥāfiẓ Ḥabīburraḥmān Aʻẓmī, Qāḍī Aṭhar Mubārakpūrī and Maulānā Ṣadruddīn Iṣlāḥī. Maulānā Aḥmad Ḥusain Rasoolpuri belonged to this district, was one of the greatest Indian scholars during his time. He has been considered an expert in all types of knowledge of Psychology and sciences; medicine, wisdom, pharmacology and drugs. He was also a great scholar of Arabic Language and known as poet of Arabic Language. He was born in 1288 A.H. and died in 1359.

KEYWORDS: Aḥmad Ḥusain, India, Azamgarh, Arabic Lagnguage, Poet,.

الكلمات المفتاحية: أحمد، حسين، الرسولفوري، اللغة العربي، الشاعر

هو أحمد حسين بن عبد الرحيم بن الشيخ جمال الدين جمن بن الشيخ فهار (پھاڑ) بن كهيدو الحنفي، كان من العلماء الكبار الهنود وفضلائها في عصره وكان له اليد الطولى في

*نائب مدير تحرير "مجلة الهند" الصادرة من الهند ومدرس ضيف، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بردوان، بنغال الغربية، الهند

سائر العلوم العقلية والنقلية والطب والحكمة وعلم الأدوية والعقاقير.[1] قد جاءت أسرته واستوطنت في قرية رسولفور في عصر نور الدين سليم الملقب بـ"جهانكير" وهذه القرية من مضافات مباركفور بمديرية أعظم كره، ولد في رسولفور سنة 1288هـ، ومات في سنة 1359هـ.

نشأته ودراسته:

نشأ أحمد حسين وترعرع في كنف والديه ومن كان يتلألأ جوهر العلم والدين في محياه في صباه، ويظهر الفضل في معارفه في طفوليته[2] وحصل على التعليم الابتدائي في بيته، وقرأ الكتب العربية والفارسية في هذه المرحلة على الشيخ حافظ الشاه نظام الدين بن الشيخ عبد الوهاب في قرية "سريان" قرب قريته، ثم درس نور الأنوار وميبذي على أخيه الكبير الأستاذ عبد العليم بـ"مدرسة چشمهٔ رحمت" الواقعة مديرية غازيفور، ومن ثم قرأ الشافية والقطبي وتلخيص المفتاح والمعلقات السبعة على الأستاذ الكبير مُحَمَّد فاروق التشرياكوتي، ثم توجه إلى مدينة جونفور وفي ذلك الوقت كان جونفور مركزاً للعلم وديار الشرق وتوجد بها المدرسة الإمامية الحنفية، حيث تلمذ على العلامة هدايت الله خان الرامفوري الذي كان يتولى زمام "المدرسة الإمامية الحنفية" التي كانت تعدّ من أكبر المدارس في حينها وإحدى المراجع الهامة للطلبة، و قرأ عليه ملا حسن، وملا جلال، ورسالة مير زاهد مع الحاشية لغلام يحيى وحاشية بحر العلوم وأهم الكتب الدراسية ما بين عام 1309هـ و1313هـ، ثم سافر أحمد حسين إلى كانفور والتحق بـ"مدرسة جامع العلوم"،

[1] هند و پاك ميں عربي أدب، ص 99
[2] ديوان أحمد، ص 6

وتلمذ على حكيم الأمة العلامة الشاه أشرف علي التهانوي، فدرس عليه كتب الأحاديث الشريفة مثل الجلالين والمشكوة وصحيح البخاري وصحيح المسلم وكتب الفقه مثل الهداية، وذهب إلى رامفور فتلقى علوماً أخرى من جامع المعقول والمنقول العلامة عبد الحق الخيرآبادي والعلامة ظهور الحسن الفاروقي والعلامة الحافظ وزير علي الرامفوري بـ"مدرسة العالية"، في رامفور، وأستاذ العصر في الأدب والشعر واللغة العلامة الشيخ مُحَمَّد طيب العرب المكي.[3]

وبينما كان مقيماً في رامفور حصل على معرفة الطب والحكمة وعلم الأدوية والعلاج من الشيخ الحكيم مُحَمَّد حسن خان حتى نال شهادة الإجازة وبذل مجهوداته على أخذ الفلكيات والرياضيات إلى أن صار فيه ماهراً تاماً، وهكذا تمت مرحلة تعليمه للعلوم المختلفة وفي 1320هـ بايع على سيد ضياء النبي الرائ بريلوي في الطريقة.[4]

أعماله التدريسية:

كما تلقى العلوم من مناهل العلم ورجال الدين اكبار الأساتذة في مناطق عديدة فبدأ حياته العلمية بالتدريس في "مدرسة مظهر العلوم" ببنارس وقضى فيها ثلاث سنوات ثم ذهب إلى غازيفور والتحق بـ"مدرسة چشمهٔ رحمت" ببلدة غازيفور وقام بخدماته التدريسية فيها ومكث هناك حتى عام 1326هـ وفي نفس السنة غادر إلى مدينة دهاكا (Dhaka) وذلك بسبب إلحاح مواطنيها فوفر لهم فرصة تدريسهم حتى أصبح رئيس المدرسين، واشتغل كمدرس في مختلف المدارس في دهاكا وهوغلي وغيرها والتحق بمدرسة

[3] تذكره علماء اعظم گڑھ، ص 87 -88
[4] أيضاً، ص 88

حمادية بدهاكا وبمدرسة دار العلوم بدهاكا وبمدرسة عالية بهوغلي واشتغل بها رئيساً ثم أقام بالمدرسة الإمامية دهاكا ناظماً ورئيساً لمدة أربع سنوات وخلال ذلك أدى فريضة الحج عام 1343هـ[5] وبقي مدرساً بعد الرجوع في هذه المدرسة لعشر سنوات، وثم انتقل إلى بلدة غوركه فور وانضم إلى "أنجمن إسلامية" (الرابطة الإسلامية) وقام بالتدريس حتى عام 1357هـ فإنه اكتمل التعليم والتدريس لسبع وثلاثين سنوات من عام 1320هـ إلى 1357هـ.

مؤلفاته:

حينما كان مشتغلاً بعمل التدريس والتعليم كان مشتغلاً بعمل التصنيف والتأليف بالطباعة والعلاج بالأدوية والعقاقير. وكان مثيلاً في فن الخط والكتابة وكان يهتم بالطباعة والنشر لمصنفاته القيمة، وله كتب باللغتين: العربية والأردية ولا يمكن إحصاؤها بالتفصيل وهنا أريد أن ألقي الضوء على بعض مؤلفاته لكي يتبين لكل من يرغب الخوض في الدراسات العربية والإسلامية ومدى الجهود والخدمات التي بذلها هذا العالم في سبيل خدمة اللغة العربية والدراسات الإسلامية وكتابة الحواشي على بعض الكتب بشكل الكتاب. ومن أهم مؤلفاته : "تحفة الأحباء في فضل المدينة ومناقب سيد الشهداء" (في اللغة الأردية) و"أحسن الميراث في هداية الأحياء إلى الأموات" (في اللغة الأردية)، و"سمط الفرائد" شرح بعض عبارات صعبة لـ"القلائد من الفرائد" للعلامة ملا محمود الجونفوري المتوفى عام 1062هـ. و"حاشية قصيدة البردة" و"حاشية قصيدة الفرزدق" و"حاشية مسلم الثبوت" و"حاشية مسلم العلوم" و"سبيل الآخرة" و"تجهيز الأموات" و "مجريات أحمدي" و"ديوان

[5] ايضاً، ص 89

أحمد" وهذه مجموعة ما قرضها العلامة من القصائد والمنظومات والغزليات والتقاريظ، جمعها ابنه العلامة مُحَمَّد يحيى والقاضي أطهر المباركفوري ونشر بمساعدتهما عام 1377هـ من الهجرة من مدينة مومبائ.

وله خطب ورسائل جميلة في أسلوب بديع تدل على تبحره في علوم العربية وتوفي في 26 من رجب 1359 هـ وكان عمره عند وفاته بضعاً وسبعين سنة ومات مبطوناً شهيداً وكانت جنازته مشهودة.[6]

الشيخ كشاعر:

هو الشيخ أحمد حسن الرسولفوري الذي كان شاعرا جيداً باللغة العربية وله مجموعة شعرية مسماة بـ"ديوان أحمد" وديوانه هذا يحتوي على ثمانية وأربعين صفحة وهو مطبوع.[7] وفي كتاب "تذكرة علماء مباركفور" قال القاضي أطهر المباركفوري : "نال كمالا في اللغة العربية والشعر ولم يكن أحد مثيلاً له في شرق الهند".

نماذج من شعره:

وقال مرتجلاً حينما كان يودع للشيخ جلال الدين حيدر :

ألا إن يـــوم الوصـــل يـــوم تجمـــل ويـــوم وداع الحـــب يـــوم تحمـــل

فيـــوم لقـــاء الحـــب بشـــرى وبهجـــة ويـــوم وداع الحـــب شـــيط لمرســـل

[6] ديوان أحمد، ص 9

[7] هندوستان میں عربی علوم و فنون کے ممتاز علماء، ص 248

لقـــد حـــان توديـــع وجـــاءت أحبـــه أقـــاص أدان مـــــنزلا بعـــد مـــــنزل

فـــأعينهم مســـتجريات ومـــا علـــى خـــدودهم والقلـــب بالبـــين مصـــطل

وداعـــي لكـــم حقـــا وداع لمهجـــتي فـــإن قلـــت تصـــحبكم وإن قلـــت تمـــهل

وكيـــف وداعـــي والجـــوى قـــاتلي إذا أهـــم بـــه والقلـــب يغلـــي كمرجـــل[8]

وهو كتب في رسالة:

وأخـــبرني ريـــح الصـــبا عـــن جنـــابكم بمـــا زال أحـــزاني وزاد ســـروري

فأصـبح صـدري فاسـحا بعـد ضـيقة وأصـبح قلـبي فارجـا بوفـور

ونبـأ الأحبـا بعـد طـول لقـائهم كـروح سـرى في الميـت بعـد دهـور

[8] أيضاً ص، 25

نسـيم الصـبا إن زرتهـم بلـغي لهـم تحيـة مـن قـد قـام بعـد نشـور[9]

وقال قصيدة أخرى وأعرب فيها عن قلقه واضطرابه واشتياقه للوصال وأنه يجد الألفاظ الملائمة الحساسة حاضرةً، وهو الذي يجعله ممتازا من المعاصرين:

اطلـــب ليلـــى بـــواد فـــلاة لـــيلاً، نهـــاراً، صـــباحاً، أصـــيلا

اطلبهـــا ومضـــت حقبـــات لا أرى للوصـــــال ســـــبيلا

لا أراهـــا فـــوا هجرتاهـــا ذاب شخصـــي وقلـــبي مهـــيلا

أيـــن رمـــان ثـــدي وكشـــح أيـــن فـــود و خـــد أســـيلا

هجرتـــني بقـــاع الفـــراق هـــل تعـــود لوصـــلي لـــيلا

أرحـــم الله أحمـــد حســـينا واقضـــها لي لـــيلا فلـــيلا[10]

[9] ديوان أحمد، ص 20
[10] أيضاً، ص 28

وقال مؤرخاً لكتاب توضيح الفرائض الملقب بـ"سيد التخريج" لأخيه الكبير الشيخ عبد العليم المباركفوري وذلك في عام 1319هـ:

غـــزال صـــاده عبـــد العلـــيم كـــمي القـــاع لـــيس لـــه مثـــال

وزان علـــى سمـــاء الجـــد علمـــا ويفجـــر منـــه شمـــس والهـــلال

هـــو البحـــر الـــزلال إذ وردنا فيســـقي ناهـــلا منـــا الـــزلال

يجـــود إذا دعـــوناه فـــيروي ويشـــحن منـــه للنـــزح الســـجال

يصـــدقه لســـان النـــاس قـــولا يصـــدقه علـــى الـــرقش المقـــال

ســـألناه لتوصـــيف الـــتراث فـــأتاناه منـــه ارتجـــال

عطـــاه الله فضـــلاً بعـــد فضـــلٍ وبـــورك في العلـــوم ولا يـــزال

تفقـــدنا الهواتـــف عـــام طبـــع

بـــدا نجـــم الـــتراث اليـــوم قـــالوا[11]

نظرة تأملية في إنتاجات الشيخ أحمد حسين الرسولفوري الشعرية :

إن الشيخ أحمد حسن الرسولفوري كان شاعراً جيداً باللغة العربية وله مجموعة شعرية مسماة بـ"**ديوان أحمد**" وديوانه هذا يحتوي على ثمانية وأربعين صفحة وهو مطبوع.[12] وفي كتاب "تذكرة علماء مباركفور" قال القاضي أطهر المباركفوري : "نال كمالاً في اللغة العربية والشعر ولم يكن أحد مثيلاً له في شرق الهند"[13] وكتب السيد مُحَمَّد المدني شاعر أرض الحجاز تقريظاً منظوماً على ديوانه واعترف بفضله وخدماته في مجال العلم والأدب. فهنا نذكر الأبيات فيما يلي:

(لأحمـــد حســـين) الحـــبر درة عصـــره أديـــب (مبـــاركفور) ســـابق الأقـــران

حريـــري إقلـــيم البلاغـــة مـــن غـــدا بتائيـــد رب العـــرش محســـود ســـحبان

لقـــد جمـــع الله المحاســـن كلهـــا لأجـــداده، كـــانوا أئمـــة أزمـــان

[11] أيضاً ص 27-28
[12] هندوستان میں عربی علوم و فنون کے ممتاز علماء، ص 248
[13] ؟؟؟؟؟

توارثهـــــا عـــــنهم وأورث بعـــــده لأحفـاده الغـر الكـرام، ذوي الشـأن[14]

وفيما يلي أتناول ما أنتجته قريحة أحمد حسين الرسولفوري في مجال الشعر حول الموضوعات والأغراض المختلفة، ومن ثم أقوم بانتقادها ودراستها الموضوعية.

قال الشيخ الرسولفوري قصيدة في الحمد والصلوة والدعاء، فهي قصيدة غراء، محكمة النسيج، بديعة التعبير، رشيقة الألفاظ، وبديعة المعاني، تدل هذه القصيدة على مهارته ونضجه في الشعر، وتحتوي على 22 بيتا، فهو يبدأ القصيدة بحمد الله تعالى في أسلوب رقيق وألفاظ جذابة رشاقة، فهو يقول:

حمـدا لمـن خلـق القلـم خلـق السـماء بـلا خـدم

ودحـى البسـاط علـى الطفـم وبـنى المدينـة والحـرم

ذو العـــرش والمـــدد الأتم ذو قـــوة لا يختصـــم

ذو الخلـق والوصـف القـدم يأتيـه حكـم مـا حـكم

[14] ديوان أحمد، ص 3

رب رحـــيم، مالـــك، صـــمد، قـــديم، فإنـــك

أحـــد، عزيـــز، بأنـــك، حـــي، قـــدير، منقســـم

ثم يمدح النبي ﷺ في أسلوب سهل وأعذب لفظ وسلاسة، وهذا المدح يمتاز بأنه يجمع أوصاف النبي ﷺ العالية في الأبيات الآتية:

جلـــى الظـــ ـلام بنـــوره هـــز القلـــوب بنـــاره

نـــض الـــرياض بنـــوره واخضـــرها همـــع الـــديم

أرســـــلته كرامـــــة وصـــــفوته لإمامـــــة

شـــفّعته لقيامـــة، ينفـــى الكبـــائر، واللمِـــم

صـل علـى شمـس العلـى، قـد فـاق بالصـدق الـورى

وهـــو العتيـــق المعتلـــى جـــلّاء ليـــلٍ مـــدلهَم

وعلـى الـذي بـدر التقـى، وإضـاء دنيـا مرتضـى

مـن رأيـه الـوحي الصـفا زيـن العـرب فخـر العجـم

وعلـى الـذي زان الحجـى وأشـاع ديـن المصـطفى

الجـامع الـوحي الصـفا مـن نـوره كشـف الظلـم

ثم أنهى هذه القصيدة بالدعاء والاستغفار بذنوبه، ويدعو ربه أن يقيم النبي ﷺ يوم القيامة لشفاعته وأن يبعد عنه الآلام والمصائب والفزع والخوف يوم الحساب:

يا ربنـــا اغفـــر حـــوبتي واقـــل وتـــب لي تـــوبتي

واقـــم نبيـــك حجـــتي في حضـــرة ذات الظَلَـــم

وأمـــط مصـــائب غمـــرتي وأبـــزر ياجـــر حضـــرتي

وقــني دواهــي حســرتي مــن فــزع يــوم المــزدحم[15]

وكما قال قصيدة في الحمد والصلوة، وهذه الأبيات الآتية خير شاهد على نبوغه في الشعر من حيث أنه لا يحس عجزاً في أداء المعاني مهما كان الموضوع:

يا ربنـــا واهـــب الأرزاق والـــنعم مسني الســماء وداحي الأرض في الديــم

سـلّم وصـل علـى مـن سـاد للرسـل وصـحبه ابتـدى الضـوء في الظلـم[16]

وكما قال شعرين في الحمد والصلوة ، فهو يحمد الله حمداً جامعاً ويشكره على العطايا والمنن منه ثم يصلي الصلاة على نبيه ورسوله الحبيب مُحَمَّد ﷺ كل فترة ولحظة، وهو يختار أسلوباً جيداً سهلاً ممتنعاً فيما تلي الأبيات:

الحمـــــد لخـــــالق الـــــبرايا والشـــــكر لواهـــــب العطـــــايا

صـــــــل ربي علـــــــى مُحَمَّد بكـــــراً وظهـــــائراً وعشـــــايا[17]

[15] ديوان أحمد، ص 29 - 30
[16] أيضاً، ص 33

كتب قصيدة وهذا آخر ماقاله في حياته من الشعر أو القصيدة كما كتب ابنه مُحَمَّد يحيى الأعظمي والأديب الكاتب الشهير القاضي أطهر المفاركفوري "هذا فيما نعلم آخر قصيدة له ولم يقل بعده شيئا من الشعر حتى مات، رحمه الله تعالى وقاله في ربيع الثاني 1359هـ وتوفي في رجب 1359هـ،"[18] تحتوي هذه القصيدة على 21 بيتا، بدأها بالحمد والصلوة ثم انتقل إلى ذكر مدرسة ومؤسسها و منهج التدريس فيها:

جـــدير الحمـــد خـــالق عالمينـــا معيـــد الخلـــق طـــراً أجمعينـــا

صـــــلوة الله لا تحصـــــى لعـــــدّ علـــــى طـــــه وعترتـــــه الأمينـــــا

ثم يأتي بذكر العلم وأهميته البالغة وفوائده ومسئولية العلماء:

وبعـــد فـــإن علـــم الـــدين علـــم بـــــه تحـــــيي نفـــــوس العالمينـــــا

هـــو الكـــنز العظـــيم يزيـــد كـــنزا إذا أنفقتـــــــــــه للطالبينـــــــــــا

ورثنـــا العلـــم عـــن علمـــاء صـــدق تـــــــراث الأنبيـــــا والمرســـــلينا

[17] ديوان أحمد، ص 47
[18] أيضاً، ص 43

ونورثـــــــه لطالبـــــــه بجـــــــد كـــــــذلك يورثـــــــون المبتغينـــــــا

هو يذكر مؤسس المدرسة وجهوده المضنية ومنهج التدريس فيها، كما أخذ المواد والمقررات الدراسية وشهرة المدرسة حتى أتى بنتيجة بأنها مركز العلم والمعرفة ويتوجه إليها الطلاب من كل ناحية:

لئيـــــق عبـــــد رحمـــــن تقـــــي ســـــراج المنتلـــــى للســـــاكنينا

وللتعلـــــيم مدرســـــة بناهـــــا وأوســـــعها لكـــــل القارئينـــــا

تـــرى الطـــلاب تأتي مـــن فجـــاج لتحصـــيل العلـــوم قاصـــدينا

لصـــــــرف ثم نحـــــــو ثم أدب وتفســـــير وفقـــــه الكاملينـــــا

بيـــــان والبـــــديع وأصـــــل فقـــــه عقائـــــد والـــــكلام المســـــتبينا

وزان الكـــــل عـــــزاً وافتخـــــارا حـــــديث رســـــول رب العالمينـــــا

بتـــــــدريس الزكـــــــي المولـــــــوي كلـــــيم الله ذي التقـــــوى يقينـــــا

فصـــــار المنتلـــــى كـــــنزاً لعلـــــم وزان بهـــــــا الأناس القاطنينـــــــا

ثم يدعو الله متضرعا وخاشعا، وتنتهي القصيدة بهذه الأبيات الآتية:

وأدعـــــو الله مـــــن قلـــــب كئيـــــب دعـــــاء الضـــــارعين الخاشـــــعينا

يـــــديم بنـــــاء هـــــذا العلـــــم دهـــــرا ويصـــــلح شـــــان كـــــل معلمينـــــا

ويجـــــزي الله للبـــــاني جـــــزاء وللمتعلمـــــــــين وللمعينـــــــــا

يـــــزين كـــــل طـــــلاب بعلـــــم ويصـــــلح جملـــــة المتحصـــــلينا

ويصـــــلح كـــــل أمـــــر الـــــدرس طـــــرا كـــــذلك يصـــــلح أحمـــــد حســـــينا[19]

[19] ديوان أحمد، ص 44

نجد في أشعاره نوعاً من التلذذ بأنه لا تحس قنوطاً أو سآمةً وهو لا يترك أي زاوية البحث، فأشعاره جذابة وكاملة في موضوعه.

وقرض قصيدة أخرى وسار على منوال المتقدمين خاصة أصحاب المعلقات فيذكر الديار الدارسة والسهول والصحراء وقال عن بعض الفضلاء المعاصرين اسمه أمجد علي إيم علي، تحتوي هذه القصيدة على 37 بيتاً و فيما يلي بعض الأبيات من هذه القصيدة:

درســـت الـــديار وشمـــت فالبيـــداء عنّـــت لنـــا فالســـهل فالصـــحراء

ثم الـــتي قـــد كـــان فيهـــا خلـــتي مـــنهم لي الأصـــحاب والعلمـــاء

مـــا بالهـــا لمـــا مضـــوا ممنهـــا فقـــد عفـــت الـــديار ورمنّـــه بيضـــاء

فتغـــير الأحـــوال دون وصـــولها جـــرت العيـــون أســـى وحـــق بكـــاء

قصـــر كـــان خلائهـــا مـــا اســـكنت وكأنهـــا لم يبنهـــا بنّـــاء

مـــن زاره زار الكـــرام باســـرهم إن الكـــرام لهـــم إليـــه رجـــاء

يا قلب أنت أمام من هو كيس فطن وزان له التقى وحياء

هذه الأبيات في المدح وهي تمتاز بكثرة الترادف والتضاد واستخدام المحسنات البديعية التي تدل على مهارته الشعرية وطول يده في هذا المجال، ومثل هذه الأشعار -كما نعلم - يعتبر أمراً مشكلاً:

نجم على أوج القووس وذروة بضياه نارت ليلة ظلماء

علامة، فهامة، فطانة فخامة، كشفت به الأعياء

بهرت عقول الماهرين برويه منه وبهتت، فطنة البلغاء

يأتيه من فج عميق غائر علماء والكرماء والفضلاء

هذا الذي فاقت مناصبه وكم شاعت مناقبه وضاء ضياء

حتى تراهم راجلين لشغفهم متحصلين لديه مما شاواء

حـــتى تـــراه إذا مضـــى في غيهـــب شـــرقت ذكـــاء فـــانجلي الأرجـــاء

وقد رأينا هذه الأبيات المذكورة أن شخصية الممدوح ذات علم وفضل وكرم، وهو محط العلم والعرفان يأتي إليه الطلاب من كل فج عميق، ويتلمذون عليه ويسقون من منهله العلمي.

وتابع قائلًا في ذكر محاسن الفاضل في تركيب متين ربما يسبب مشكلة في فهم المعاني ولكنه أداها في أحسن أسلوب، وهذا يعني أن لديه كثيرا من الألفاظ لأداء المعنى الواحد فهو يعتبر قاموسا:

فاقـــت محاســـنه كمـــا زالـــت قبـــا ئحـــه كمـــا دانـــت لـــه العليـــاء

مـــا المجـــد في الغـــربين إلا مجـــده فاشـــتق افعلـــه لـــه وعـــلاء

فـــيزين قـــدك ثـــوب مجـــدك والعلـــى ويزيننـــا ملجـــاك والمـــاواء

ان كنـــت تلقـــاه فتلقـــاه كمـــا تلقـــى الـــرياض فيفـــرح الأعضـــاء

ج

وإذا تصـــبك مصـــيبة وكراهـــة وخصاصـــة والبـــؤس والباســـاء

ويكـــون للنـــاس الشـــفيع مـــتى ونـــوا في كـــل خطـــب واســـتحق بكـــاء

فيعـــود يســـرا ثم يشـــرح صـــدرهم فـــرح فعـــادت للصـــلوة ذكـــاء

وشـــفيعنا هـــذا وأنـــت مـــدبر فأحســـن فمنـــك الجـــود والأعطـــاء

لا زال نجمـــك ســـاطعا فـــوق العلـــى فبـــذاك يفتخـــرك العلـــى وسمـــاء

ونجـوم حسـنك مثـل حسـن نجومـك زهـــرت كبـــدر ليلـــة البلمـــاء

لا زال نصـــبك في مقـــام نلتـــه عـــن هالـــة لا تخـــرجن ذكـــاء

لا زال يـــوح المجـــد شـــارقة مـــتى مـــا ســـار ســـيار ودار سمـــاء[20]

[20] ديوان أحمد، ص 13- 14

في الأبيات المذكورة أعلاها تفنن الشاعر في إبراز شخصية الممدوح، ونبوغه العلمي وكماله، إلا أننا نرى فيها تلاعباً مع الألفاظ والكلمات، وهذه الأبيات كلها إن كانت غنية بالألفاظ إلا أنها قليلة في المعاني.

وقال قصيدة يمدح فيها بعض الملوك، يشبه فيها الملوك بالشمس في علو مرتبتهم وبالأسود في الشجاعة:

أ شمـــــس سمـــــاء أفضـــــال أم بـــــدر إقبـــــال

فضـــيرت الظـــلام ضـــحى وضـــاء الـــدهر في الحـــال

ليـــوث الغـــاب همتهـــا توانـــت دون همتـــه

قـــد انقـــادت بصـــوابه رقـــاب جميـــع أفيـــال

جـــاد خليـــل رحمـــن دعـــاء النصـــر والظفـــر

علـــــى الأيام قاطبـــــة وبالفـــــتح وإقبـــــال

وتمضـــي منـــك في الهيجـــا وتغشـــي منـــك للأعـــداء

ســـيوف فاقـــت البرقـــا وسمـــر الســـخط بالبـــال[21]

وقال في مدح أستاذ العلماء المفتي لطف الله العليكرهي رحمه الله، ويتحدث عن باعه الطويل في مجال العلم، وعلو كعبه فيه، هذه قصيدة أخرى قليلة المعاني كثيرة المباني، كما نرى أنه لم يتحدث إلّا عن كمال المفتي العلمي، ولكنه استخدم كلمات كثيرة:

تـــوارث نجلـــه الأحـــرى بعلـــم علومـــا جمـــة ليـــث العرينـــا

ســـليم القلـــب لطـــف الله مفـــت مـــدير الفـــيض فـــوق المبتغينـــا

إلـــه الخلـــق مـــدّ لـــه بقـــاء وبارك في مـــداه وفي الســـنينا

ووارث ابنـــه منـــه علومـــا بفضـــل الله فضـــل الله صـــينا

يجـــود بعلمـــه مـــن عـــن طعمـــا يعلـــم جاهـــداً للطالبينـــا

[21] ديوان أحمد، ص 26

أعانهمـــا الإلـــه كمـــا أفـــادوا علومـــا كـــابرا عـــن كابرينـــا

أديمـــا بالفيـــوض علـــى الـــبرايا وقـــرت عنـــد لمحهمـــا العيـــونا

ســـهيلاً، مـــاط كفـــرا مـــدلهما وزخرفـــة الـــزنادق والمهينـــا

إذا مـــا لاذ مضـــطر بـــه مـــن طوارقـــه كفـــى ريـــب المنـــونا

لـــه مجـــد ينـــال علـــى الثـــريا وفضـــل في الـــبرايا أجمعينـــا

وأحســـن قائـــل قـــولا صـــحيحا بتـــاج الغـــر يحـــمي المحجرينـــا[22]

وقال متغزلًا وترجم فيه المثل الأردوي لغياب الأشياء من أصلٍ بكل مهارة حتى لا يظهر أثر الترجمة فيها وهو "كقرن غاب عن رأس الحمار"

ســـألت وصـــالها فـــالرأس لـــوت وضـــحكت ثم مالـــت بالفـــرار

[22] ديوان أحمد، ص 42- 43

وملـــت لأخـــذها فقضـــيت وطـــري بخـــد كـــان مســـتور الخمـــار

فقلـــــت لوصـــــلها فقالـــــت غـــدا وقـــت الضـــحى يـــوم المـــزار

ويـــوم الوصـــل غابـــت عـــن فراشـــي كقـــرن غـــاب عـــن رأس الحمـــار[23]

وكذلك قال في الغزل باسم "سم الخياط مع المحبوب ميدان" واتخذ فيه طورا يكتب على أسلوب القدماء محتفظًا بالقواعد حتى أخذ المعاني والتشبيهات أيضا من الشعراء القدماء، وطورا يستمد المعاني من خلال المثل الأردوية أو ما يجري في المجتمع الهندي، كما نرى في القصيدة التالية التي تحتوي على 17 بيتا:

قلـــبي أصـــاب ومـــا عـــن جثمـــان بالله قـــــولا ظـــــبي أم لإنســـــان

غـــودرت مختبطـــا لا أهتـــدي بفـــلا أيســـــتقيم ولم يصـــــحبه هرمـــــان

الليـــل اليـــل، والليلـــى محجبـــة والعـــــاذلون أحـــــاطوني وأخـــــدان

[23] أيضاً، ص 20

أنـمى الإلـه مـن اسـتهوى بحـب دمـى وإن تطلســـــه خـــــزى وخـــــذلان

تقمصـــــت بحيـــاء زانـــه غـــــنج إلا وقـــد قـــدّه ميـــل ونشـــوان

قتالـــة عينهـــا الكحـــلاء ناظـــرة باســـهم هـــي عنـــد الطعـــن مـــزنان

في الخـــد ثار ومـــاء مـــن نضـــارته يا قـــوم عجبـــا لمـــاء فيـــه نـــيران

والكـــف مرجـــان، والزنـــد عقبـــان والجيـــد عمـــران، والفـــود ثعبـــان

إني اجـــتلاء ولـــو أبـــدت محاســـنها إن الجمـــال لهـــا ســـتر وصـــوان

الهجـر خصـب وجـدب وصـلها ولهـا صـدّ عـن الكلـف العـاني وطغيـان

فـزد غرامـا ولا تسـل الوصـال بهـا للوصـل عنـد ملـيح لـيس إمكـان

أرى الـــــديباجر يجلوهـــــا النهـــــار ولا أرى مشـــــوقا تجلـــــى عنـــــه عميـــــان

وقـــت مـــع الله أن صـــادفت أزمـــان ســـم الخيـــاط مـــع المحبـــوب ميـــدان

وكتب الرسولفوري رثا ء على الأستاذ نظام الدين، وذكر فيها خدماته وما أثر موته في عائلته والأوساط العلمية وهو أيضاً يعكس مدى ما يحبه، وفيه نجد أسلوب المتنبي في الرثاء، وكثيراً استخدم الألفاظ التي يستخدمها المتنبي، وهو يبدأ الرثاء بما أثر موته عامة في الأشعار الخمسة الأولى ثم يخصص بأثره في الأبناء والأصدقاء والتلاميذ وفيها 33 بيتا ومطلعها:

ذكـــــرى لمـــــن وأروه في القيعـــــان متصـــــدع قلـــــبي الأشـــــجان[24]

ثم يقول:

وجـــوى يـــذوب بـــه الحشـــا وجـــوانحي متلهـــــــب وابيضـــــــت العينـــــــان

كنـــــا علـــــى فـــــرح نحـــــد هنيئـــــة متمتعـــــين بصـــــحبة الأقـــــران

[24] ديوان أحمد، ص 34

فرمـــي الزمـــان ســـهام رزأ فجـــأة فغشـــت قلـــوبا باكيـــات الشـــأن

ونعـــي نظـــام الـــدين مـــات مســـافرا متغـــربا عـــن أهلـــه ومكـــان

أجيـــب أنـــت ثويـــت غـــير بـــلادنا والنـــاس هـــم يبكـــون في الأوطـــان

أولادك الضـــــــــــعفاء نادوا يا أبا يكبـــون أيـــن أبي وأيـــن أمـــاني

يفـــدون أنفســـهم عليـــك ومـــاحووا وجســـومهم أضـــني مـــن الإنســـان

فـــأدرك وقـــل لبيـــك واجمـــل ثم نم فليوقظنـــــك مـــــدة الأزمـــــان

يبكـــي عليـــك أحبـــة وأعـــزة متحســـرين وجملـــة الجـــيران

لم نـــدر أن المـــوت توفـــك طـــائر وهمـــت بالتوديـــع للأقـــران

يبكـــي تلامـــذك الـــذين تـــركتهم علمـــاء والحفـــاظ للقـــرآن

هكذا سلك في الأخرى وتحدث خسائر التلامذة والعلماء والواردين في بيته من أصحاب الحاجة، التي نتجت عن وفاته.

ومن هنا نراه يستمد المعاني من مواعظ القرآن والحديث، ويظهر خير أمله تجاه نفسه:

هيهـــــات أن نهـــــواه إلا داعيـــــا ذا العـــــرش والكرســـــي بالغفـــــران

يقينـــــك الـــــورد العظـــــيم ودونـــــه الياســـــين ثم كفـــــاك بالقـــــرآن

بلـــغ علـــى الـــورع الـــذي مـــتكفن إن نلتـــه أ نســـيم صـــبح الثـــاني

عنـــا ســـلاما ثم قـــل متضـــرعا إن الـــذين تـــركتهم هيمـــان

أفلـــت نجـــومهم واقـــتم لـــونهم فبـــذاك لا يرضـــون عـــيش الفـــاني

ســـلف ونحـــن التـــابعون اللاحقـــون يظلنـــا ولكـــم يـــد الـــرحمن

ويغيثـــك الغيـــث المـــدر وقبركـــا ويـــديم مخلـــدك بـــدار جنـــان

وهنـــاك مهـــنى لا يـــرام شموخهـــا وكســـاك تاجـــا أحســـن التيجـــان[25]

هذه القصيدة تدل على نبوغ الشيخ أحمد حسين في علم القرآن وتفسيره، ثم نرى هيمنة التعبير القرآني على قصيدته.

وله أيضاً قصيدة من القصائد النونية:

هيهـــات أعفـــى الـــدهر أبلـــى رسمهـــا وجفـــت علهيـــا نائبـــات زمـــان

وغـــدا حـــذوق النـــاس حـــل ســـفيههم وحكـــى القـــرود منـــاطق الإنســـان

ورأوا فلـــول العـــود ســـيفا باتـــرا ورأوا جبـــانا مقتـــدى الشـــجعان

ضـــرب الجلاجـــل أيقنـــوه عبـــادة والكفـــر قـــد سمـــوه بالأعيـــان

ويبـــايعون لئـــامهم علمـــا بأنـــ ـــــهم ارســـطاليس واللقمـــان

[25] ديوان أحمد، ص 34- 35

آذانهـــم صـــم وأعيـــنهم عـــمى قلـــوبهم عمـــه مـــن الطغيـــان[26]

هذه القصيدة غنية بالكلمات والتعبيرات الفخمة إلا قاصرة في تأدية المعنى الجميل.

وكذلك رثى الشيخ أحمد حسين نظام الدين البريلوي رحمه الله وقرض قصيدة أبرز فيها خصائصه ومزاياه، وتحتوي هذه القصيدة على 46 بيتا، مطلعها:

كفـــى للمـــرء معتـــبر الحمـــام يجـــول محـــاربا بـــين الأنام

ومن هنا نلاحظ أنه قد نسج بعض الأبيات على وفاة نظام الدين البريلوي، فإنه يجيد البيان والتأثير بدون أن ينغمس في المبالغة الركيكة في الإطراء والثناء والوصف. فرثي الشيخ أحمد حسين وأجاد في وصف ألمه الشديد وحزنه العميق في قلبه القريح.

نظـــام الـــدين وافتـــه المنـــايا وصـــادفه المنـــون بـــلا كـــلام

إذا جـــاءت ملائكـــة ببشـــرى مـــن الـــرحمن ذي المـــنن الكـــرام

[26] أيضاً، 37- 38

فأســـــلم راضـــــياً عيشـــــاً مـــــديماً تعـــيش بـــه النفـــوس بـــلا انضـــرام

نصـــيب الـــزور قـــد وافـــوه حيـــا وقـــد بقـــي الخيـــال وعلـــى المنـــام

وقـــــد رفعـــــوا جنازتـــــه حفـــــاةً وأعيـــــنهم تفـــــيض بـــــلا ســـــقام

كـــــأن علـــــى رؤوســـــهم طيـــــورا كـــــأنهم أقيمـــــوا مـــــن رجـــــام

عســـى أن ودّعـــوا مـــنهم نفوســـا وجادوهـــا علـــى نعـــش النظـــام

فـــوا أســـفا علـــى وجـــه ملـــيحٍ تكفّـــن في الـــتراب وفي الظـــلام

لقـــد طـــاب الـــثرى إذ حـــل فيـــه وطـــاب اللحـــد بالـــدُّر النظـــام

ســـقى مثـــواه ســـقيا بعـــد ســـقي عشـــيا بكـــرة صـــوب الغمـــام

وصـــــلى الله حينـــــا بعـــــد حـــــين علـــــى المســـــقى إلى يـــــوم القيـــــام[27]

وكذلك قرض قصائده في موضوعات شتى، فقال قصيدة ارتجالية حين دعي للحضور في الامتحان في مدرسة مظهر العلوم بمدينة بنارس وعبر فيها عن كيفية الامتحان ومزايا المدرسة وجهود بانيها والدعاء له:

بشـــرى لكـــم مـــن مـــنعم متعـــالي يا أيهـــــا الحضـــــار بالأجـــــلال

بشـــرى لكـــم في البـــدء والرجعـــي بمـــا قـــــد آب رحمـــــة ربنـــــا المفضـــــال

ظلـــــت بنـــــا الـــــرحمن آيـــــة رحمـــــة يتســـــــاءلون بهـــــا باســـــــتعجال

يتســـــاءلون وهـــــم بهـــــا متفرحـــــو ن تفـــــرح الأعـــــراس في الأحجـــــال

ظلـــــت علينـــــا كـــــل ظـــــل ســـــابغ ممـــــدود أرجـــــاء المقـــــام وجـــــال

تتـــــنزل قـــــوق الســـــموات ومنهـــــا فوقنـــــــا فبقـــــــين كالهطـــــــال

[27] ديوان أحمد، ص 31 - 33

قالـــــت ودا لي وفـــــيهم كـــــان مـــــن

انخـــــت قلوصـــــي عنـــــده ورحـــــالي

فأجـــاب نصـــاً صـــه فـــإن الامتحـــا

ن يكـــــون في هـــــذا المقـــــام العـــــالي

هذه أطول قصيدته في الامتحان، ومدرسة مظهر العلوم والقائمين عليها، وهي غنية في تعبيراتها الجميلية، ومعانيها الكثيرة ذات الدلالات الشعرية الاجتماعية.

وقال بهجو البعض:

يا حبيـــــــبي تعـــــــال بالعجـــــــل هـــــل تـــــرى مـــــن يحـــــوم في الســـــبل

لـــــيس أقوالـــــه ســـــوى هفـــــوات لـــــيس إدراكـــــه ســـــوى جهـــــل

يـــــدخل العلـــــم ذهنـــــه صـــــبحا ثم يخـــــــرج منـــــــه في الأصـــــــل

عقلـــــه قـــــد أفـــــيض في بطـــــن همـــــه مثـــــل أوهـــــن الحبـــــل

مـــــن يلاقيـــــه يـــــدلك أذنيـــــه عينـــــه منـــــتن مـــــن الســـــبل

جســـــمه منـــــتن كعـــــين القطـــــر فمـــــه أبخـــــر مـــــن الفَجـــــل

ويحـــــوم الطريـــــق والأســـــواق لإحيـــــاء عليـــــه في الســـــبل

ذهنـــــه ظلمـــــة علـــــى ظلمـــــات نفســـــه ركبـــــت مـــــن الجهـــــل

مـــــع هـــــذا يـــــداول كتبـــــا مظهـــــر العلـــــم مخفـــــي العمـــــل

إن تـــــراه بليلـــــة عميـــــاء خلتـــــه الغَـــــول جـــــاء مـــــن جبـــــل

إن تـــــــراه بخلـــــــوة يومـــــــا نلتـــــــه كالحمـــــــار والبغـــــــل[28]

وهذا هجاء لا يخرج من إطار السلوك الإسلامي، فلم يستخدم تعبيرات سخيفة تقدح المهجوء قدحا مؤلما، إنه يتهمه بهفوات القول، وبالعلم والخلوء من العمل فهو غبي كالحمار والبغل.

وقال قصيدة طويلة في مدح أستاذه الشيخ فيض الله الكوفا غنجي، وعرض عليه حين نزل على بيته ورحبته بها وكتبها على ورق أبيض ووهبه إياها، فلا يخفى على من يقرأ هذه القصيدة أنه قد عارض فيه الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم و مطلعها يبدأ بالتشبيب من ذكر الخمر والفتيات المائلات المميلات:

أعـــــد دور الكـــــؤوس الشـــــاربينا وجـــــد بالنـــــار تحـــــمى الحالقينـــــا

أهنهـــــا مكرمـــــات ملهيـــــات نشـــــيد الغـــــرد عنـــــد الحالمينـــــا

حميـــا لـــو يـــذقها الشـــيخ يومـــا لجـــــدد عهـــــده بالشـــــابقينا

وأذهلـــــت العـــــذارى مـــــائلات مميـــــلات قلـــــوب الزاهـــــدينا

[28] ديوان أحمد، ص 26 - 27

ومـــن ريـــق الخريـــد الـــذر شـــفا وأحلـــى مـــن كواعـــب ذات عينـــا

يـــهى ســـكراً ســـوادَ جـــاد نظـــرا ومـــا أحلـــى الحميـــا قائلينـــا

فإنـــك والنـــدى تـــرب ونفســـي وشـــربي يـــوم عهـــد النافســـينا

ومن هنا يبدأ بوصف ومدح الأستاذ وشخصيته النابغة وحادة ذهنه ودقة فهمه تقواه من الله وحسن صوته وعاطفته تجاه خدمة الشعب والأمة وقبوليته العامة في العالم، إنما هي ليست قصيدة فقط، بل هي ترجمة بسيطة لجميع حياته من أوله إلى آخر نَفَسه، فهو يقول:

فبـــادرني فـــدى لـــك مـــن تليـــد وطـــارف الـــذي ملكـــت يمينـــا

فـــإني مشـــرف ومنـــاط نهـــمي إلى أزكـــى ثبيـــت المقبلينـــا

حـــذوقا، مـــاهراً، فطنـــاً، فهيمـــاً ذكيـــاً، كـــاملاص، حـــذراً أمينـــا

أياد لحـــــن منـــــه ســـــابغات مصـــــفّدة أعنـــــة عالمينـــــا

هـــمي مـــن علمـــه شـــوبوب علـــم فـــــاغرس دوحـــــة للطالبينـــــا

وفلقـــــت أغصـــــنا منـــــاودات مورقـــــة يســـــارا واليمينـــــا

فاترعـــــت الغصـــــون مـــــثقلات بأحلـــــى مـــــا يســـــر المجتنينـــــا

وهمـــــم دون همـــــم أتعبتهـــــا فدافـــــد دون وصـــــل المـــــدركينا

فأهـــــداهن منـــــه الرشـــــد نظـــــرا فأســـــهلن الســـــهولة والخروفـــــا

رائـــين إذا حســـمن فقـــد دريـــن حزومـــــا مكمـــــلا للحازمينـــــا

صـــبيا في البهـــاء، فـــتى، بنطـــق وشـــــيخا في علـــــوم أجمعينـــــا

دعـــاه الخلـــق ســـعد الله مفـــت وقـــد جعلـــوا مكانتـــه العيـــونا

ويتحدث عن علو كعبه في مجال العلم والمعرفة قائلاً:

طويـــــل البـــــاع في فقـــــه بفقـــــه رحيـــب الصـــدر أعلـــى مـــا يكـــونا

وأروى النـــــاهلين لكـــــل علـــــم بأصـــــفى مـــــا يـــــروم الظـــــامئونا

يحـــــدث فضـــــله في كـــــل حفـــــل وينـــــــهى الأولـــــــون الآخرينـــــــا

خطابتـــــه تعيـــــد الميـــــت روحـــــا وتحـــــي الـــــروح فـــــوق النافســـــينا

يـــــذكر ربهـــــا مـــــردات جـــــن بيـــــوم لـــــو يكونـــــوا صـــــاحبينا

يبيـــــت معقـــــلا ســـــهر الليـــــالي لحـــــل المعضـــــلات إذا أبينـــــا[29]

فهذه القصائد العديدة الجميلة تقدّم نماذج رائعة من الشعر العربي المتواجد في الهند. إنها بجانب كونها قريضا رائعا جذابا قد احتوت على موضوعات عديدة لم يوجد

[29] كان في الأصل عضلنا فأبدل أستاذه المرحوم أبينا وقال فإن القافية مردفة فلذلك أبدلنا عضلنا

بعض منها في الشعر العربي في الهند كما أن لغتها رشيقة جيدة ومن خلال معارضة الشاعر غيره من شعراء الجاهلية من عمرو بن كلثوم والآخرين فقد أثبت أنه يضاهي بهم في هذا المجال، فهو بجانب غرارة شعره يحتل مكانة مرموقة في الأسلوب والبيان، وتأتيه الكلمات غنوية دون إيراد، إلا أنه قد يهمل المعاني في بناء المباني وتنيسق الكلمات، واستخدام الألفاظ الرنانة الفخمة.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)